١

الجمعيَة الكويتية لتقدم الطفولة العربيَة

سلسلة الكتاب الشهري للطفل

مذكرات فطومة الكويتية الصغيرة

ثريا البقصمي

٨ سنوات فما فوق

مذكرات
فطومة الكويتية الصغيرة

قصة ورسوم
ثريا البقصمي

مراجعة وتحرير
د. تغريد القدسي
الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ١٩٩٢

حقوق الطبع محفوظة

للجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

الطبعة الاولى

الكويت ـ ١٩٩٢

اللجنة الاشرافية لمشروع «الكتاب الشهري للطفل»:

د. حسن الابراهيم (رئيس اللجنة)
د. تغريد القدسي (منسقة المشروع)
الاستاذ / أنور النوري (عضو)
د. فاطمة نذر (عضو)

شكر

تشكر الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية جميع من ساهم في إنجاز هذا الكتاب بمراحله المختلفة: **الدكتورة سعاد الصباح** التي قامت مشكورة بتمويل مشروع الكتاب الشهري للطفل، والذي يهدف إلى نشر مكتبة متكاملة للأطفال والناشئة العرب تتكون من ستين كتاباً سيتم نشرها على مدى خمس سنوات. الدكتور سليمان الشطي الذي قام بقراءة النص والآخرين الذين ساهموا بإنجاز هذا الكتاب.

مذكرات

فطومة الكويتية الصغيرة

فطومةُ فتـاةٌ كويتيـةٌ في التَّاسعـةِ مِن عُمرهـا، لها عينـانِ لوزيتـانِ مـرحتانِ، رأتْ بهِـما الكثيرَ من الحكـاياتِ العجيبـةِ، التي حدثت في بلدهـا فجأةً. ولقـد سجلتْ بعضَ مشاهـداتِها بمـذكراتٍ متقـطعـةٍ، تروي لنا فيها تَجرِبتَها في تِلكَ المدينةِ التي فقدتْ كلَّ أَلوانِها الجميلةِ ورفعتْ راياتِ الحزنِ السوداءَ، وعلى جدرانِ مدارِسهـا كَتَبَتْ فتياتٌ في عُمر فطومةَ:

«لا للاحتِلالِ... عاشتْ الكويتُ حرةً مستقلةً»!!

٢ / أغسطس ١٩٩٠

في صباحِ هذا اليَومِ تناولتُ افطاريَ بهدوءٍ وترقُّبٍ غيرِ طبيعين. لقدْ أثارَ دَهشتي والدي وهو يتجولُ في أرجاءِ المنزلِ ببجَامتِهِ يلصقُ المذياعَ قُربَ أُذنِهِ، ووجهِهِ قلقٌ «محتقِنٌ كحبةِ باذنجانٍ» كما تقولُ والدتي!! واليومُ هوَ يومُ عملٍ. لكنَّ والدي لَمْ يذهبْ إلى عملِهِ وهذا ليسَ من طبعِهِ. وأردتُ أَنْ أَكشِفَ السرَّ فمازحتُهُ قائلةً: «أبي لِماذا لَمْ تذهَبْ لعملِكَ؟ هل فقدتَ مفتاحَ سيارتِكَ؟ أمْ أنَّكَ تشْعرُ بالكَسَلِ؟».

أجابني وهو يرمُقني بنظراتٍ حزينةٍ: «لا لَمْ أفقدْ مفتاحَ سيارتِي ولكنْ فقدتُ شيئاً أكبرَ وأعزَّ. لقدْ فقدتُ وَطَني!!».

لَمْ أفهمْ شيئاً، ولَمْ أفهمْ كيفَ يمكنُ أنْ يَفقِدَ الإنسانُ الوطنَ؟!

١٠ / أغسطس ٩٠

فجأةً ومنذُ ٢ اغسطس أَصبحتْ الحياةُ في مدينَتي غريبةً ولَمْ تَعُدْ تُطاقُ. فالشوارعُ والطرقاتُ، امتلأتْ بالدباباتِ والشاحناتِ العسكريةِ. والجنودُ، يملأونَ المكانَ، مدَججِينَ بالسلاحِ، ويضفونَ على المدينةِ شكلاً غريبًا وإحساسًا غيرَ مريحٍ، وبمرورِ الأيامِ أصبحَ الرصاصُ المنطلقُ ليلاً عاديًا ولكنهُ لا يزالُ يزعجُني، ويهزُّ سريري فأقفزُ مذعورةً مِنْ فراشي فألجأُ لوالديَّ، أطرقُ بابَ غرفَتِهم، وَما أنْ تفتحَ أُمي البابَ حتَّى أُلْقِي بنفْسي بينَ ذراعَيها، وأسألُها والدموعُ

تبلِّلُ خدي. . «ماما أنا خائفةٌ»!! فتمسحُ رأسي بحنانٍ قائلةً: «لا يا ابنَتي كلُّ شيءٍ سينتهي بسلامٍ، قليلاً منَ الصبرِ يا طفلتي!!» ولقد قَضيتُ هذه الليلةَ في حجرةِ نومِ والديَّ، شاركتُهُما سريرَهُما ولمْ أكفَّ عن احتضانِ أُمّي كلَّما انطلقَ أزيزُ الرّصاصِ.

١٥ / أغسطس ٩٠

أصْبحَ مِنَ النادِرِ أَنْ نغادِرَ المنزلَ لأنَّ السحاليَ الخضراءَ، أقصدُ الجنودَ الذينَ يَملأونَ الشوارِعَ يُشكلونَ خطرًا على الجميعِ. الملَلُ والخوفُ يكادانِ يَقتلاني، حتّى أفلامِ الكرتون التي أُحبُّها اختفتْ مِنَ التلفزيونِ ليحلَّ محلَّها وجهُ مذيعٍ يتلو البياناتِ العسكريةِ. كانت هذه البياناتُ تغيظُ والدي وتدفعُه لأنْ يُغلِقَ التلفزيونَ، ويَكتفِي بلصقِ المذياعِ إلى أُذنهِ. كَما أَنَّ أُمّي تَوقفتْ عَنْ عادةِ قراءةِ الصحف صباحًا عِنْدَ تناولِ الافطارِ. وهي تقولُ: «لا صحافةَ وطنيةً والوطنُ محتلٌّ!!».

لم أُفكرْ في أَنْ أَطلبَ أَنْ يأخُذَني أَحدٌ في نزهةٍ، أركضُ فيها حافيةَ القدمينِ على رملِ الشاطىءِ أو أَسبحُ خَلْفَ تلكَ الأمواجِ الزرقاءِ. لَمْ أَجرؤْ حتى على التفكيرِ في أمورٍ وأماكنَ حيثُ ألعابُ التسليةِ والترفيهِ. فجأةً اختفتْ كلُّ هذهِ الأحلامُ من عالمِنا. لأنَّ مدينتَنا احتلتْها سَحالٍ خضراءُ مُرْعبةٌ استولتْ على كلِّ شيءٍ.

١٦ / أغسطس ٩٠

نسيتُ أنْ أذكرَ بِأَنِّي أُحبُّ الرسمَ، ولحسنِ حظي كانتْ لدينا كميةٌ جيدةٌ مِنَ الأوراقِ والألوانِ. ولهذا كنتُ كلَّما شعرتُ بالملل أو الخوفِ أَلجأُ إلى كراسٍ أَملأهُ بالرسوماتِ الَّتي عادةً ما كانتْ تُفزِعُ والدتي، فَتخفِيهَا في مكانٍ لا أَعرِفُه، وهيَ تَقولُ: «ألا تَعْلمين يا فطومةُ بأنَّ الجنودَ لا يكفُّونَ عنْ تفتيشِ منازلِ الكويتيّين؟ أنتِ ستُورطيننَا برسوماتِكِ لأنَّكِ ترسمينَ الجُنودَ على شكْلِ سحالٍ وقِرَدةٍ وكلابٍ، ولو عَثَروا على رسوماتِكِ فلنْ يرحَمُوا طفولتِكِ!!»،

رَغم مخاوفِ أُمي لم أكفَّ عَنْ رَسمِهم كُلَّما أغاظوني. فهُم حَرموني مِنْ كُلِّ الأشياءِ الجميلةِ الَّتي أُحبُّها، وكنْتُ أتوسلُ إلى أُمي بأنْ تدعَني أحتفظُ برسوماتِي، ولا تمزقُها، لأنَّني أَنوي إهداءَهَا للأبطالِ الذينَ سيحررونَ الكويتَ.

٢٠ / أغسطس ٩٠

اليومَ قَبَّلتني جَدتي مودعةً، حَضَنتني بقُوةٍ وهي تقولُ من بينِ دموعِها: «حَفظَكم اللَّهُ يا ابنَتي». وأمامَ ناظِريَّ تحركتْ قافلةٌ مِنَ السَّياراتِ الَّتي تضمُّ أقرباءَ والدتي، ولوحتُ بِيَدي مودعةً صديقاتي بناتَ خالتي، غَيْرُ مصدقةٍ بأَنَّنا سنفترقُ. لقَدْ قرَّروا الرحيلَ بَعْدَ أَنْ بدتْ لَهُمْ الحياةُ صعبةً وخطرةً وخاصةً بَعْدَ مُداهمةِ الجنودِ لمنزلِ جدتي واعتقالِ خالي يوسفَ. كانَ الجنودُ قد فَتَّشوا منزلَ جدتي

ثلاثَ مراتٍ أرعَبتْها جدًا، ولهذا اتخذتْ العائلةُ قرارًا بالرحيلِ خوفًا مِن انتقامِهم، كَمْ كُنْتُ أَودُّ الذهابَ مَعَهم، فأنا أَشعرُ بالخوفِ مِثلَهم ولا أُريدُ أَنْ أفترقَ عَنْهم. وَلَقدْ سألتُ أُمِي بترددٍ «ماما لماذا لا نرحلُ معَهم؟!!».

أجابَتْني وصوتها قويٌ وصارمٌ: «لنْ نرحلَ يا ابنتي فهذهِ أرضُنا ووطَننا. وإذا غادَرَها كلُّ أهلِها فإنَّ العدوَّ لَنْ يَخرجَ منها. إنَّ وجودَنَا في الدّاخلِ مصدرُ قوةٍ لقضيتِنا». أضافتْ وهيَ تحتضنني وتشدُّ عليَّ بقوةٍ أكبر: «سَنبقَى يا طِفلَتِي، سَنبقَى ولَنْ تَندمي عَلى البقاءِ في أرضِكِ، أعدُكِ بِذَلِك».

٢٥ / سبتمبر ٩٠

لقدْ انقطعتُ منذُ مدةٍ طويلةٍ عنْ كتابةِ مذكراتي وذلكَ لأنَّ حادثةَ اعتقالِ خالي يوسفَ، سَببتْ خوفًا وحزنًا للجميعِ. ثُمَّ إنَّ أُمي أخبرتْني بأنَّ عمليَّةَ الكتابةِ خطرةٌ، وطَلَبَتْ مِني أَنْ أَكُفَّ عَن كتابةِ مُذكراتي وَلِذا بدأتُ مِنَ اليومِ في الكتابةِ سرًّا بدونِ علمِ أحدٍ وهذهِ المذكراتُ مِنَ الآنِ تُعتبرُ سريةً جدًا جدًا.

امتلأتْ شوارعُ المدينةِ بحواجزِ التفتيشِ، التي كتبُوا عليهَا «نقطة سيطرة». وعندها كانتْ والدَتي توقِفُ سيارَتَها ليطلعَ الجنديُّ ذو النظراتِ المخيفةِ، على هويتِها وأوراقِ السيارةِ، ثُمَّ يفتشُ السيارةَ تفتيشًا دقيقًا قَبْلَ أَنْ يطلقَ سراحَنَا. كنتُ التزمُ الصمتَ، فهذهِ

أحب الكويت
مدرسة
فاطمة

أوامرُ الكبارِ، لا يحقُّ لنَا نحنُ الصغارَ التحدثَ معَ الجنـودِ، لأنَّ في ذلكَ خطرٌ. واليومَ سألني أحدُهم لِمَاذا لمْ أذهبْ للمدرسةِ. التزمتُ الصمتَ وأجابَتْهُ والـدتي موضحـةً بأنَّ: «المـدارسَ حْوَّلَهـا الجنودُ إلى ثكنـاتٍ عسكـريـةٍ، فكيفَ سيـدْرُسُ الأطفـالُ بجـانبِ جنـودٍ مسلحينَ!!».

وكنتُ أتمنى أَنْ أجيبـهُ، «لَنْ أذهبَ إلى المـدرسـةِ» فـأنـا أخـافُ المدارسَ المليئةَ بـالسحالي الخضراءِ ورُبَّمـا كَتَبْتُ عَلى سبـورةِ الفصلِ «أنا لا أحبُّ السحاليَ الخضراءَ».

وعندَها ستختَفِي فطومةُ عَنْ هذا الوجودِ ولن يُكمِلَ أحـدٌ كتابـةَ هذه المذكراتِ. ولذا التزمتُ الصمتَ كما كـانتْ والدتي تـطلُبُ مني ذلِكَ باستمرارٍ.

٧ / اكتوبر ٩٠

اختَفَت الكثيرُ منَ الأطعمةِ اللَّذيذةِ الَّتي كنتُ أحبُّها مِنْ على رفوفِ الجمعيَّاتِ، وبَذلَ والدي جهدًا كبيرًا في توفيرِ الأساسيةِ منها. واليومَ وقفْتُ مع والدتي في طابورٍ طويلٍ أمامَ الجمعيةِ التَّعاونيةِ، لشراءِ الحليبِ والبيضِ وعصيرِ الفواكهِ، وكانَتْ الرطوبةُ خانقةً، والجوُّ كَئيبًا وعيونُ النساءِ حزينةً وكُنَّ يتبادلنَ همسًا أحاديثَ تدورُ حولَ قصصٍ تحدثُ في مدينتِنَا ليلاً، وجرائمَ رهيبةٍ يرتكبُها الجنودُ بحقِّ المدنيين. وخلفَ والدتي كانتْ تقفُ سيدةٌ حاملٌ، بطنُها منتفخٌ كالبالونِ، تتنفسُ بصعوبةٍ كبيرةٍ، ولقدْ طلبَتْ والدتي مِنَ السّيداتِ الواقفاتِ بالطابورِ، السماحَ للمرأةِ الحاملِ بتجاوزِ الطابورِ لأنَّ وضعَهَا الصحيَّ سيءٌ. فتعاطَفَ الجميعُ معَهَا وبعدَ دقائقَ خرجَتْ المرأةُ الحاملُ مِنْ مَبنى الجمعيةِ، محمَّلةً ببَعْضِ المُشترياتِ، شكرَتْ أُمي بلُطفٍ كبيرٍ، اقتربتْ مني ومسحَتْ عَلى رأسي وهِيَ تَقولُ: «اللَّهُ يحفظْ لكِ ابنتَكِ الحُلوةَ».

٢٧ / اكتوبر ٩٠

كانَ أَبي قلقًا، تَزْدادُ عصبيَّتُه، عَنْدما يجتمِعُ بأصدقائِه في منزِلنَا، حيثُ تَرتفعُ أمامَهُم كومةٌ منَ الأَوراقِ ويجلسونَ يتحدثُونَ لساعاتٍ ثُمَّ يُغادرونَ قَبلَ أَنْ يحينَ مَوعدُ حظرِ التَّجولِ. لَمْ أَسمعْ بهذا الشيءِ قَبْلَ ٢ أغسطسَ ولكنْ الآنَ يجبُ أنْ يَلتزمَ الجميعُ بهِ تجنبًا لغضبِ وتحقيقِ السّحالي الخضراء. ولقدْ أخبرني والدي اليومَ بأنَّ لديهِ هويةً جديدةً، فاسمُهُ الجديدُ والذي يجبُ أنْ أحفظَهُ «محمد شوقي» وهو يعملُ مُراسلًا بوزارةِ التربيةِ، كما قالَ لي: «إنَّنا مضطرونَ أنْ نُخفي هويتَنا الحقيقيةَ، لكي نضيّعَ على الجنودِ فرصةَ اعتقالِنا وعرقلةِ حركةِ عملِنا الوطنيِّ».

ولَقدْ تمنيتُ في هذهِ اللحظةِ أنْ أساعدَ أبي في عَملهِ السِّري، ولو قَبلَ فإنِّي سأُغَيرُ اسمي مِن فطومةَ إلى سعادَ، فهذا الاسمُ يُعجِبُني كثيرًا، كما أَنَّ عملي سيكونُ مدرِّسةَ رياضِ أطفالٍ.

٢ / نوفمبر ٩٠

انقلبتْ حياتُنا رأسًا على عقبٍ، وتحولْنا إلى «غجرٍ حقيقينَ» كما ذكرتْ أُمي. لَقْدَ طَلَبَ مِنا والِدي لأسبابٍ كنتُ أجهلُها، أَنْ ننتقِلَ إلى بيتٍ آخرَ. وفي البيوتِ العديدةِ الجديدةِ التي انتقَلْنا لَهَا كنتُ أفتقدُ كُتُبي ولُعَبي، وحاجياتي ورسُوماتي. وعِندَما سألتُ والِدتي عن سببِ تركِنا لمنزِلنا الجميلِ في منطقةِ سلوى والاخْتباءِ في منازلِ أقاربِنا المهْجورةِ، أجابتني: «إنَّ أباكِ يقومُ مَعَ مجموعةٍ مِنْ زُملائِهِ

بأعمالٍ تغيظُ الجنودَ، ولِهذا يجبُ عليهِ أنْ يختبىءَ، حتّى لا يتمكنُوا مِنَ اعتقالِهِ، «فرأسُه مطلوبةٌ» لأنَّهُ يعملُ مع المقاومةِ الكويتيةِ!!»

وطَلَبْتُ مِنْ والدتي تفسيرَ مَعْنَى المقاومةِ، فأجابَتْني بنظراتٍ شاردةٍ: «المقاومةُ هيَ أعمالٌ عديدةٌ نخبرُ بها العالمَ أنَّنا غيرُ راضينَ عن هذا الوضعِ الجديدِ. ورجالُ المقاومةِ همْ أبطالٌ حقيقيونَ يعطونَ كلَّ يومٍ دروسًا قاسيةً للجنودِ ليعرفوا بأنَّ الشّعبَ الكويتيَّ يرفُضُ احتلالَ وطنِهِ. إنَّهم يُعطونَ مَعْنًى جميلاً لصمودِنا».

ولقدْ شعرتُ بالفخرِ لأنَّ أبي وأصدقاءَهُ مِنَ المقاومةِ الكويتيةِ، وتمنيتُ أنْ أخبرَ أبناءَ الجيرانِ ليعلمُوا بأنَّنا أبطالٌ صغارٌ نعيشُ مَعَ أبطالٍ كبارٍ حقيقيين.

١٥ / نوفمبر ٩٠

ذَهبْنا اليومَ لزيارةِ بيتِنا في سَلْوى وتفقُّدِ بعضَ حاجياتِنا. بكتْ أُمي بحرقةٍ وهي تعانِقُ جارَتَنا أُمَّ جاسِمٍ أمامَ بابِ مَنْزِلنا. ومِن خلفِ البابِ ومِنْ وراءِ ظهرِ أُمّي، أطلَلْتُ برأسي لأرى أمامَ بابِ الجيرانِ جُثَةَ رَجُلٍ مُمددةٍ ملطخةٍ ببقعٍ حمراءَ، لَمْ أُدركْ بأنَّ ما أمامِي هُوَ جُثَّةُ رجلٍ ميتٍ تسبحُ في الدّماءِ وقدْ تجمّعَ حولَها الأطفالُ والنِّساءُ ومجموعةٌ مِنَ الجنودِ المُسلَّحينَ.

في طريقِ العودةِ كانت أُمي صامتةً وحزينةً وكُنْتُ أنا مرعوبةً، سألتُها «ماما لِماذا قَتَلوه؟» أجابتْني: «لقد كانَ مِنْ رجالِ المُمقاومةِ.. شعرتُ بالذعرِ، دسستُ رأسي في صدرِها وتذكرتُ أَبي».

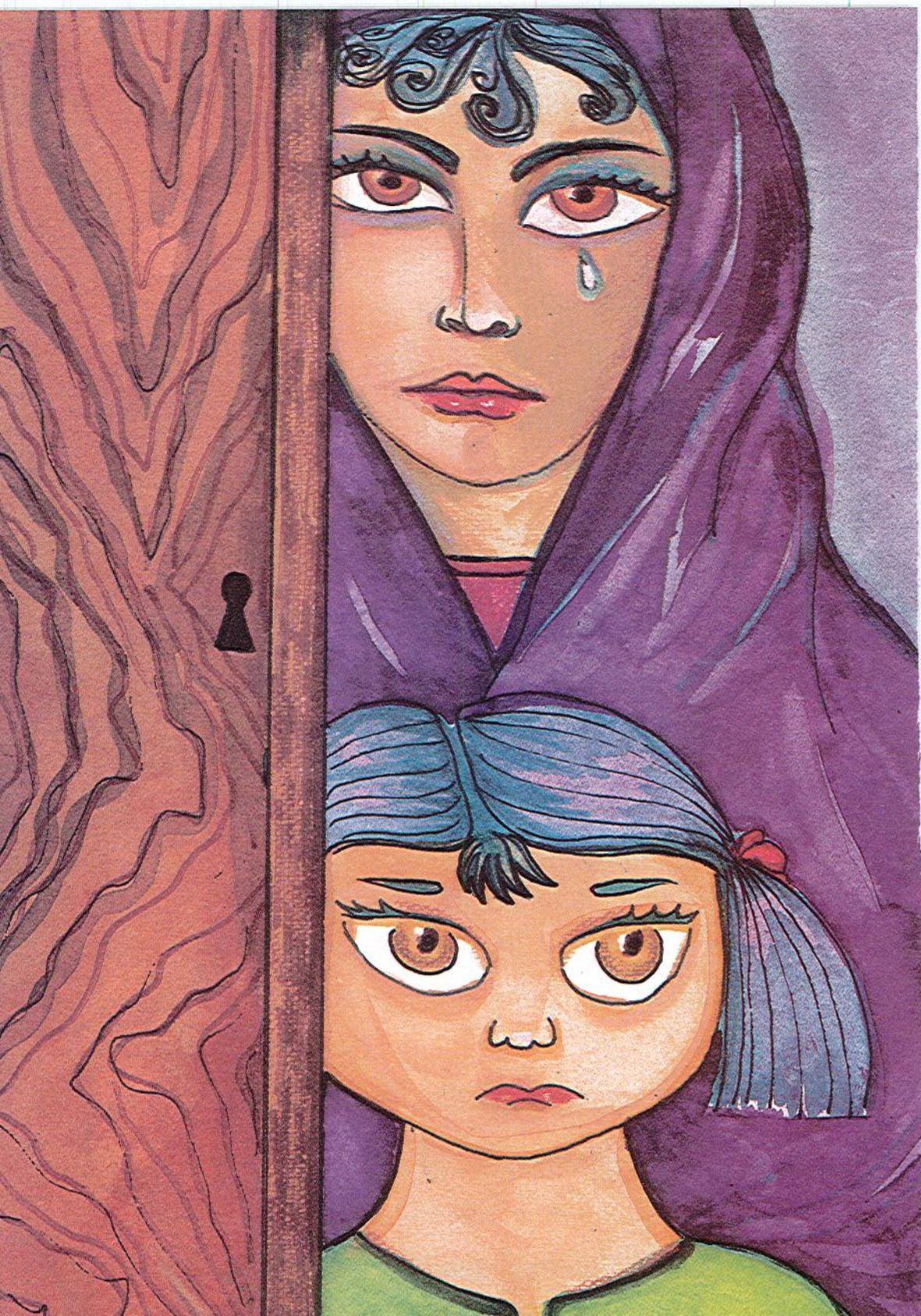

١٧ / نوفمبر ٩٠

هذا الصباحُ كانَ غيرَ عادي فَقَدْ استيقظتُ على صوتِ أحذيةٍ ثقيلةٍ، وضجةٍ غيرِ عاديةٍ. خرجتُ مِنْ غرفةِ نَوْمي، لأري أُمي منكوشَةَ الشَّعرِ وأبي يُزررُ بجامَتَهُ، والسّحالي الخضراءَ تملأُ منزلَنا. قلبَ الجنودُ أُصصَ الزرعِ، نَثَرُوا المزروعاتِ الخضراءَ على السّجادِ ثُمَّ داسُوها بأحذيتهِم الثقيلةِ، حتى فتحاتِ التكييفِ انتزعُوها مِنَ الأسقُفِ، ونَثَروا على الأرضِ الكُتُبَ المرصوصةَ في مكتبةِ والدي. حتَّى حجرتي لَمْ تَسلمْ مِنْ تفتيشِهم فبعدَ أن بعثرُوا لُعَبي قامَ أحدُ الجنودِ بِغَرسِ حربةِ بندقيتِهِ في بطنِ دُبِّي القُطني، شقَّ بطنَ الدُّبِ، ونثرَ أحشاءَهُ القطنيةَ بحثًا عن السلاحِ كما قالَ!!

ولَقَدْ أثارَ هذا التصرُّفُ رُعْبي فاختبأتُ خلفَ ظهرِ والدتي، وأنا أنظُرُ لَهُم بعينٍ نِصفِ مغمضةٍ. كانَ الضابطُ يسألُ والدي عَنْ مكانِ الأسلحةِ والمنشوراتِ. ولكنَّ والدي أجابَهُ بثقةٍ عجيبةٍ: «نحن شعبٌ لا يحبُّ حيازةَ الأسلحةِ، فلا لُصوصَ لدينَا، ومدينتُنا خاليةٌ من المجرِمين، ولَمْ ندخلْ حربًا معَ أحدٍ، نحنُ شعبٌ مسالِمٌ وآمِنٌ لا نحبُّ حيازةَ السّلاحِ».

حقيقةً كانَ أبي على حقٍّ فأنا لَمْ أَرَ بندقيةً مِنْ قبلُ، إلّا في الأفلامِ والكتبِ، ورغمَ هذا سألَني أَحَدُ الجنودِ قبلَ أنْ يُغادرَ المنزلَ قائلًا: «هل لدى أبيكِ بندقيةٌ أو مسدسٌ يا حلوةُ»؟ لم أجبْهُ، التزمتُ بالصمتِ. فأَبي لا يكذبُ ونحنُ حقًا لا نعرفُ السِّلاحَ.

٢٠ / نوفمبر ٩٠

بعدَ حادثةِ اقتحامِ الجنودِ لمنزلِنا، قرَّرَ والدي أَنَّ الوقتَ قَدْ حانَ لنقومَ بزيارةٍ لمدينةِ بغْدادَ، لتتصِلَ والدتي بـأَقْربـائِها حيثُ إنَّ مـدينةَ الكويتِ معزولـةٌ عن العالمِ الخـارجيِّ ولا يُمكنُ لأحدٍ أَنْ يتَّصِـلَ بنَا أو نتَّصِلَ بهِ كما كانَ بالسَّابِقِ. كذلكَ كانَتْ أُمي تنوي زيـارَةَ أخيها الطّيارِ الأَسيرِ في مُعتقلٍ اسمُهُ (بعقُوبـة) بالقـربِ من بغدادَ. ورغمَ أنَّ الحـديثَ عن زيـارةِ بغـدادَ مخيفٌ إلا أنَّ أُمي كـادَتْ تـطيرُ مِنَ الفرحِ لزيارةِ أخِيها.

وطوالَ الطريقِ بـينَ مدينَتَيِ البصـرةِ وبغدادَ، كنتُ أُشـاهدُ بغيظٍ الشّاحناتِ العراقيةَ محملةً بالأثاثِ والأجهـزةِ المسروقةِ مِنَ الكـويتِ، ولقد صرخْتُ وأَنا أشيرُ إلى شـاحِنةٍ محملةٍ بـأثاثٍ مـدرسيٍّ، وأجهزةِ صالةِ الموسيقَا: «هـذا هو أثـاثُ فصلِنا، هـذه كراسيُّ المـدرسةِ التي سـرقَهَا المُحتلونَ، شمسُنـا وبحـرُنـا ومـدارِسُنـا، والكـرسيُّ الخشبيُّ وسَبـورةُ فصلي، انتـزعُوهـا بقوةٍ ليضعـوهَا في مـدارِسِهم الَّتي عَلقُوا عَليهَا صورةً لقائِدِهم».

والصراحةُ معَ أَني كُنتُ دائِمًا أَتمنَّى أَنْ يحدثَ شيءٌ لمـدرستِنَا لِكَي نُعطلَ وتُقفلَ أبوابُها ونرتاحَ منَ الدراسةِ. إلا أَنّي أَشتاقُ إليها وأشعرُ بالحزنِ لِمَا حلَّ بِها!!

٢١ / نوفمبر ٩٠

بغدادُ مدينةٌ كئيبةٌ حزينةٌ، «مثقلةٌ بصورةِ الطَّاغيةِ التي انتشرتْ كالطّاعونِ»، هكذا تقولُ أُمي عَنْها. وَمِنْ نافِذَةِ الفندقِ تأمَّلْتُ المدينةَ وعَلقتُ على هدوئِها بأنَّها تختلفُ عن الكويتِ، فهنا لا يوجدُ أيُّ جنودٍ مُحتلين، يُخيفونَ الأطفالَ بأسلحتِهِم ولقدْ ضَحكتْ أُمي مِنْ كلامِي وسَحَبَتْني لشُرْفةِ الغُرفةِ وأَشارَتْ للسقْفِ قائلةً: «هُم هناكَ يجثُمون على أنفاسِنا ويحتلُونَ أرضَنا، إنَّكِ يا فطومةُ تورطينَني بأحاديثَكِ فأجهزةُ التسجيلِ والتَّنصتِ تَنْتَشِرُ في كُلِّ ثُقْبٍ بهذا الفندقِ. وكلمةُ الحقِّ عقابُها رهيبٌ في مدينةٍ لا يعرفُ حكامُها سوى لُغةَ الإرهابِ وحماماتِ الدَّمِ»!!

لم أفهمْ ما الذي تقصدُهُ أُمي بحمامِ الدَّمِ. لكنِّي شعرتُ بالخَوفِ. وظَلْتُ طوالَ اليومِ أَتحدَّثُ هَمْسًا، وأَبحثُ عنْ أجهزةِ التَّنصتِ.

٢٢ / نوفمبر ٩٠

زيارتُنا لمُعْتَقلِ «بعقوبة» زيارةٌ لا تُنْسى. بَكَتْ أُمي بحُرقةٍ عندَما عانَقَتْ خَالِيَ الأسيرَ، وأنا تأَثَّرْتُ جدًا لِمَشاهدِ العِناقِ بينَ الأَسرى وَذَويهم. أحسستُ إحساسًا غريبًا لا أستطيعُ وصفَهُ. وعندَمَا حانَ وَقتُ الغداءِ، انتشرتْ في باحةٍ رمليةٍ، مجموعاتٌ صغيرةٌ مِنَ الأسرى وعوائِلِهم، يَتناولونَ الطَّعامَ بِهُدوءٍ. واقتربْتُ مِنْ أسيرٍ كانَ يجلسُ في حِجرِهِ طفلٌ رضيعٌ كانَ يناغيهِ قائلًا: «لقدْ كَبُرتَ واشتدَّ عُودَكَ يا حبيبي، أتمنى أن أعودَ للكُويتِ وأُعلمكَ المشيَ وأحتفلُ بعيدِ ميلادِكَ الأول».

غادرْنا المعتقلَ بالباصِ والحزنُ عَلى وجُوهِ الجميعِ كان يعصرُ القلوبَ، وبكاءُ زوجةٍ أَو أُمٍّ أَسيرٍ يرتفعُ بينَ لحظةٍ وأخرى، وأَنا أَشُدُّ عَلى يَدِ والدي، غيرُ مصدقةٍ بأَنَّهُ بجانِبي، وإنَّ السَّحاليَ الخضراءَ لَمْ تتمكنْ مِنَ اختطافِهِ.

١٠ / ديسمبر ٩٠

لقدْ اكتشفتُ كَمْ هُوَ لذيذٌ طَعْمُ الخُبزِ، عندَما بدَأَتْ أُمي تُعِدُّ وتَخبزُ لنا الخبزَ المنزليَّ، وذلك لنتجنبَ الوقوفَ ساعاتٍ طويلةٍ في الطّابورِ أمامَ مخبزِ الجمعيةِ!! ولقدْ طلبتْ أُمي من جارتِنا أَنْ تُعَلِّمها كيف تعجِنُ وتخبزُ الخبزَ. ولمدةِ يومين راقبتُ أمي بِشغفٍ وهي تعجنُ وتخبزُ. أما بالأمسِ فتشجعتُ وطلبتُ منها أَنْ تُشركَني في عَمَلِها. لقد كانت متخوفةً في بادىءِ الأمرِ، ثم تشجعت، عِنْدَما رأتْ همّتي ونَشاطي، وفَرَحي الكبيرَ بتلكَ الأقراصِ المُنتفخةِ الساخنةِ، الَّتِي استحقتْ قضمةً كبيرةً مِنْ أَسناني!!.

١٥ / ديسمبر ٩٠

اليومَ وبَعْدَ عدةِ أيامٍ مِنَ التمكنِ مِنْ عمليةِ عَجنِ وخَبزِ الخُبزِ، أَطلقَ عليَّ أطفالُ الجيرانِ، لَقَبَ «فطومةُ الخبازةُ»!! ولَمْ يكنْ خُبزي عاديًا، فلقدْ شَكلتُهُ باستخدامِ قوالبَ صناعةِ البسكويتِ. كانَ خُبزي على شكلِ نُجومٍ وأزهارٍ وشَمسٍ. لَقَدْ تهافَتَ أطفالُ الجيرانِ على أَكلِ خُبزي، بَلْ إنَّ بَعْضَهم دَخَلَ مَعِي المطبخَ ليمدَّ ليَ يدَ المساعدةِ، وأَصبحتْ لعبتُنا المفضلةُ، أَنْ نعجنَ ونخبزَ ثُمَّ نأكُلَ ونشبعَ.

لم تَتركنا والدتي وحدنا، فهيَ المسئولةُ عن إدخال صوانيَ الخبزِ في داخلِ الفرنِ، وكانَتْ ما تَلبثُ تقولُ إنَّهُ عملٌ دقيقٌ ويحتاجُ إلى الحذرِ الشديدِ، وهي لا تَتحملُ أن يحرقَ أحدُنا يدَهُ مِنْ أجلِ لُعبةِ: «أخبزُ.. آكلُ.. أشبعُ».

٣١ / ديسمبر ٩٠

يودعُ العالمُ اليومَ سنةً قديمةً، ليستقبلَ عامًا جديدًا. كانَ البيتُ كلُّهُ حزينًا على غيرِ العادةِ في مثلِ هذا الوقتِ منَ السنةِ. لَمْ نَتَرَقَّبْ حُلولَ السنةِ الجديدةِ كما كُنَّا نَفْعَلُ، فمحلاتُ الألعابِ والزينةِ قَدْ سُرِقَتْ، وفرحتُنا الحقيقيةُ وعيدُنا الكبيرُ سيكون عِندَما نتخلصُ مِنَ السّحالي الخضراءِ!!

١٠ / يناير ٩١

أصبَحتْ الجمعياتُ التعاونيةُ لا تحوي سوى رفوفٍ خاويةٍ، بَيْنَما اكتظَّتِ الباحاتُ الترابيةُ بالبضائعِ المسروقةِ والمهرَّبةِ، وبالبائعينَ مِنْ مختلفِ الجنسياتِ. لَقَدْ أخبَرتني أُمي بأنَّ الحربَ الحقيقيةَ بَدأَتْ بوادِرُها تلوحُ في الأفقِ ولا يمكنُ أنْ نَتنبأَ بطولِها. هذا الصباحُ كنتُ معَ والدَتي، نبحثُ عَمّا يمكنُ شراءَهُ. ولَقَدْ فرحتُ جدًا عندما عثرتُ على نوعٍ مِنَ الشكولاتةِ التي أُحبُّها وابتاعَتْها لي أُمي رغمَ ارتفاعِ ثَمنِها.

وعِنْدَ نقطةِ التَفتيشِ أو كما يسمُّونَها نقطةَ «سيطرةٍ» بَحْلَقَ الجنديُّ بِوَجهي وطلبَ مِنْ أُمي هويتي، ولكنَّها أجابَتْهُ بِغَيْظٍ: «منذ مَتى تَطلبونَ هوياتِ الأطفالِ؟!» لكنَّهُ كرَّرَ طلبَهُ بحدةٍ، وهددَنا باصطحابِنا إلى المخفرِ، وحَجْزِنا هُناك، حتى الاعتراف بهويَتي الحقيقيةِ. ومِنْ شِدَّةِ الخَوفِ، بَلَعْتُ دموعي المُتساقطةِ والتَصَقْتُ بمقعدِ السيارةِ، فأنا لا أُحِبُّ وجوهَهم، ولا رائحتَهُم، فكيفَ سأَمكثُ مَعهم في مكانٍ واحدٍ!! وتَذكّرتُ في الحالِ جثةَ جارنا جاسمٍ والدمَ الأحمرَ، وبعدَ توسّلاتِ أُمي بأَنْ يدعَنا نَمْضي لحالنا تنازلَ عن طلَبِهِ للهويةِ مُقابلَ أَنْ أعطيَهُ لوحَ الشُكولاتة التي بحوزتي!! منحتُه حلوتي مِنْ غيرِ أسفٍ وسمعتُ أُمي تكررُ: «كم هو الإنسانُ رخيصٌ عِندما تساوي حياتُه لوحاً مِنَ الشكولاتة!!».

١٨ / يناير ٩١

بدأَ الهجومُ الجويُّ. بَدأَتْ معركةُ تحريرِ الكويتِ، وكانَتْ أصواتُ القنابلِ والمدافعِ عاليةً تكادُ تصمُّ آذاننا، وتدفعُنا للاختباءِ سريعًا في السردابِ. كانَتْ والدَتي تقولُ إنَّهُ مَلجأٌ سَوْفَ يحمِينا مِنَ الموتِ إذا سَقَطَ صاروخٌ أو قذيفةٌ على منزلِنا!! كُنْتُ أجري وأختبىءُ مَعَ أَنِّي كُنْتُ أَشُكُّ بأنَّ السردابَ سيصمدُ أمامَ القصفِ المتوالي، فبابُ السردابِ كانَ يهتزُّ بقوةٍ كأَنَّهُ سينخلعُ، والذُعْرُ كانَ يَشلُّ حركتي. ورغمَ خَوفي فَقَدْ كُنْتُ أُحبُّ مغادرةَ السردابِ ليلاً

لمشاهدةِ الذيولِ النـاريةِ الحمـراءِ والخضراءِ التي تملأُ السـماءَ. كانَتْ تبدُو كالشُهُبِ التي تكلمَتْ عَنها مُدرِّسَةُ العلومِ مرةً. ولقـدْ أفْهَمَني والدِي موضحًا، بأَنَّ «ما يجري ليسَ احتفالاً، فَعَلى المـدينةِ لا تـزالُ ترفرفُ رايةُ الخطرِ، والتواجدُ خـارجَ السردابِ يعرضنَـا لِما لا يحمـدُ عُقبـاه، والسماءُ المضيئـةُ ما تـزالُ تـزخـرُ بـالمـوتِ وليسَ مِنْ مكـانٍ للأعيادِ في بلدٍ لا تزالُ غيرَ محررةٍ».

ورغمَ أَنَّ أصواتَ الانفجاراتِ العاليةِ كانتْ ترعبُنَا، فَإِنَّ شعـورًا بالفرحِ كانَ يغمُرُنـا. لأنَّ جيوشَ العـالَمِ تَجمَّعَتْ لتأدِبَ السحـاليَ، وتخرجَهم مِنْ أَرضِنا ووطنِنَا.

٢٣ / فبراير ٩١

لَنْ أَنْسى مـا حُييتُ هذا اليـومَ، عِنْدَمـا طَرَقَ الجنـودُ بقوةٍ بـابَ منزلِنا، وكانَ أَبي يرفضُ فتحَ بابِ البيتِ لَهُم، لأَنَّه يعلمُ بأَنَّهم كانوا قـدْ ابتَدأوا خـطةَ اعتقالِ أَكـبرِ عددٍ مِنَ الـرجالِ الكـويتيين. لَقَـدْ أخـذوهُم مِنْ داخلِ المسـاجدِ ومِنْ أمـامِ المخابـزِ ومِنَ الشـوارعِ. وعِنْدَما كادُوا أنْ يَكْسِروا بابَ البيتِ، طَلَبَ مِني والِدي أنْ أختبِىءَ تَحْتَ السريـرِ، وأَنْ لا أطلَعَ أبـدًا وفَتَـحَ والـدي لَهُم البـابَ، ثُمَّ اختفَتْ أصـواتُهم. ومِنْ بـين دمـوعِي مِنْ خلفِ النـافـذةِ، رأيتُهُم يأخذُون والِدي ووالدَ حنـانَ صديقَتي وأخُ صَـديقَتي سَلْوى، والأبناءَ

وعِنْدَ نقطةِ التَفتيشِ أو كما يسمُّونَها نقطةَ «سيطرةٍ» بَحْلَقَ الجنديُّ بِوَجهي وطلبَ مِنْ أُمي هويتي، ولكنَّها أجابَتْهُ بِغَيْظٍ: «منذ مَتى تَطلبونَ هوياتِ الأطفالِ؟!» لكنَّهُ كرَّرَ طلبَهُ بحدةٍ، وهددَنا باصطحابِنا إلى المخفرِ، وحَجْزِنا هُناك، حتى الاعتراف بهويَتي الحقيقيةِ. ومِنْ شِدَّةِ الخَوفِ، بَلَعْتُ دموعي المُتساقطةِ والتَصَقْتُ بمقعدِ السيارةِ، فأنا لا أُحِبُّ وجوهَهم، ولا رائحتَهُم، فكيفَ سأَمكثُ مَعهم في مكانٍ واحدٍ!! وتَذكّرتُ في الحالِ جثةَ جارنا جاسمٍ والدمَ الأحمرَ، وبعدَ توسّلاتِ أُمي بأَنْ يدعَنا نَمْضي لحالنا تنازلَ عن طلَبِهِ للهويةِ مُقابلَ أَنْ أعطيَهُ لوحَ الشُكولاتة التي بحوزتي!! منحتُه حلوتي مِنْ غيرِ أسفٍ وسمعتُ أُمي تكررُ: «كم هو الإنسانُ رخيصٌ عِندما تساوي حياتُه لوحاً مِنَ الشكولاتة!!».

١٨ / يناير ٩١

بدأَ الهجومُ الجويُّ. بَدأَتْ معركةُ تحريرِ الكويتِ، وكانَتْ أصواتُ القنابلِ والمدافعِ عاليةً تكادُ تصمُّ آذاننا، وتدفعُنا للاختباءِ سريعًا في السردابِ. كانَتْ والدَتي تقولُ إنَّهُ مَلجأٌ سَوْفَ يحمِينا مِنَ الموتِ إذا سَقَطَ صاروخٌ أو قذيفةٌ على منزلِنا!! كُنْتُ أجري وأختبئُ مَعَ أَنِّي كُنْتُ أَشُكُّ بأنَّ السردابَ سيصمدُ أمامَ القصفِ المتوالي، فبابُ السردابِ كانَ يهتزُّ بقوةٍ كأنَّهُ سينخلعُ، والذُعْرُ كانَ يَشلُّ حركتي. ورغمَ خَوفي فَقَدْ كُنْتُ أُحبُّ مغادرةَ السردابِ ليلاً

لمشاهدةِ الذيولِ النـاريةِ الحمـراءِ والخضراءِ التي تملأُ السـماءَ. كانَتْ تبدُو كالشُهُبِ التي تكلمَتْ عَنها مُدرِّسَـةُ العلومِ مرةً. ولقـدْ أفْهَمَني والدِي موضحًا، بأَنَّ «ما يجري ليسَ احتفالاً، فَعَلى المـدينةِ لا تـزالُ ترفرفُ رايةُ الخطرِ، والتواجدُ خـارجَ السردابِ يعرضنَـا لِما لا يحمـدُ عُقبـاه، والسماءُ المضيئـةُ ما تـزالُ تـزخـرُ بـالمـوتِ وليسَ مِنْ مكـانٍ للأعيادِ في بلدٍ لا تزالُ غيرَ محررةٍ».

ورغمَ أَنَّ أصواتَ الانفجاراتِ العاليةِ كانتْ ترعبُنَا، فَإنَّ شعـورًا بالفرحِ كانَ يغمُرُنـا. لأنَّ جيوشَ العـالَمِ تَجمَّعَتْ لتأدِبَ السحـاليَ، وتخرجَهم مِنْ أرضِنا ووطنِنَا.

٢٣ / فبراير ٩١

لَنْ أَنْسى مـا حُييتُ هذا اليـومَ، عِنْدَمـا طَرَقَ الجنـودُ بقوةٍ بـابَ منزلِنا، وكانَ أَبي يرفضُ فتحَ بابِ البيتِ لَهُم، لأنَّه يعلمُ بأنَّهم كانوا قـدْ ابتَدأوا خـطةَ اعتقالِ أَكـبرِ عددٍ مِنَ الـرجالِ الكـويتيين. لَقَـدْ أخـذوهُم مِنْ داخلِ المسـاجدِ ومِنْ أمـامِ المخابـزِ ومِنَ الشـوارعِ. وعِنْدَما كادُوا أنْ يَكْسِروا بابَ البيتِ، طَلَبَ مِني والِدي أنْ أختبِىءَ تَحْتَ السريـرِ، وأَنْ لا أطلَعَ أبـدًا وفَتَـحَ والـدي لَهُم البـابَ، ثُمَّ اختفَتْ أصـواتُهم. ومِنْ بـين دمـوعِي مِنْ خلفِ النـافـذةِ، رأيتُهُم يأخذُون والِدي ووالدَ حنـانَ صديقَتِي وأخُ صَـديقَتِي سَلْوى، والأبناءَ

الأربعةَ لجارَتِنا أُمِّ أحمدَ. بعدَ عودةِ والدتي من السوقِ وجَدَتْني وحدي دونَ أَبي. نمنا ذلكَ المساءَ في حيٍّ تَقطنُه النساءُ والأطفالُ ورجالُه جميعًا بدون استثناءٍ أَسْرى في سُجونِ السَّحالي الخضراءِ.

٢٥ / فبراير ٩١

لَقَدْ مَضَى يومانِ على اعتقالِ والدِي، وأُمي تَحْمِلُ حزنَها في داخلها، لكنَّ صوتَ بكائِها المتقطعِ كانَ يوقظُني مِنْ نَوْمِي ليلاً. وكانَ بكاءُ أُمي والظلامُ الدامِسُ بسببِ انقطاعِ الكهرباءِ، يُثيرانِ أحزانِي. ولقد استَهلَكْنا الكثيرَ مِنَ الشموعِ التي كانَتْ أُمي تُشعلُها بحذرٍ، فأَنفُخُها بشقاوةٍ وأَنا أُحاولُ اضحاكَها قائلةً: «عيدُ ميلادٍ سعيدٌ يا أُمي!!» فتضمُّني إلى صَدْرِها وهِيَ تقولُ: «أَتَمَنَّى يا ابنَتِي أنْ لا يكونَ للحُزْنِ مكانًا في حياتِكُم. اضحكِي يا فَطومةُ فَرُبَّما أَعادَتْ ضحكاتُكِ أباكِ العزيزَ الغائِبَ».

٢٦ / فبراير ٩١

كُنْتُ مستغرقةً في نَومِي، أحضنُ بِقُوَّةٍ دُبيَّ الذي خَاطَتْهُ لِي أُمّي بَعْدَ أَنْ شَقَّتْ بَطْنَهُ السَّحالي الخضراءُ. وفَجأةً جَاءَتْ يَدُ أُمّي الحنونُ لتهزَّنِي قائلةً بِفَرَحٍ «استَيْقِظي يا فَطومَةُ لَقَدْ زالَ الكابوسُ فالكُوَيتُ تَحَرَّرَتْ!!» نَظَرْتُ إلَيْها بِعَيْنَيْنِ مملوءَتَيْنِ بِالنومِ، قُلْتُ لها: «هَلْ عادَ أَبي؟» ولكنَّ أُمّي أَزاحَتْ اللحافَ عَنِّي، رَفَعَتْنِي مِنْ

فـراشي، احتضَنَتْني بِحُبٍّ، وهِيَ تقولُ: «يـا طفْلَتِي.. يـا صَغِـيرَتي الكويتُ تحرَّرَتْ، لَقَدْ عادَ لنَا الوطنُ الذي ضَاعَ».

غَادَرْتُ السِّرْدَابَ غَيْرَ مُصَدِّقَـةٍ، رَأَيْتُ بَناتَ الجـيرانِ، يَرْقُصْنَ في الشَّارِعِ، والنَّاسُ تُكَبِّرُ مِنْ فَوقِ السطوحِ، والشّوارِعُ مَلِئيةٌ بالنَّـاسِ المُحْتَفِلينَ بِفَرْحَةِ التَّحْـرِيرِ. اليـومُ لا أَثَرَ لأيٍّ مِنَ السَّحـالِي الخضراءِ الَّتِي رَحَلَتْ فَجأَةً بِدُونِ عَوْدَةٍ.

المؤلفة والرسامة
ثريا البقصمي

● مواليد الكويت ١٩٥٢.

● تكتب المقالة والقصة القصيرة منذ نهاية الستينات ولها عدة مجموعات قصصية.

● حاصلة على ماجستير في الفن التشكيلي فرع رسوم الكتب.

أقامت عدة معارض داخل الكويت وخارجها كما حصلت على عدة جوائز وميداليات ذهبية في معارض فنية جماعية.

● عضو مؤسس في جماعة أصدقاء الفن التشكيلي في دول مجلس التعاون الخليجي وعضو مجلس إدارة رابطة الحِرَف اليدوية ـ النادي العلمي.

● عاشت ثريا البقصمي تجربة الاحتلال العراقي للكويت مع زوجها وبناتها. وفي «مذكرات فطومة الكويتية الصغيرة» تروي لنا بالكلمات والرسوم لقطات من هذه التجربة كما عاشتها وأحس بها أطفالها.